يجعل من طقوس الجنازة منظرا يشبه الشخصيات الثانوية الفكاهية التى يدخلها المؤلفون الكبار على مآسيهم لكى تكتسب روح المفارقة .

أدب المازنى فكاهة ، والفكاهة تحرير لروح الخوف . يقول لنا المازنى من بعيد إن النجاة الحقيقية هى الحوار والصداقة . أن نصادق أنفسنا فى توهمها وخطئها ونقائصها ، والإنسان بطبيعته ـ فيما يقول ـ يستوحش من الكمال . ذلك أن الكمال ليس إنسانيا . . ما أروعها من رسالة .

(٢)

وإذا ذكر المازنى تبادر إلى أذهان القراء ما صنعه فى فن النثر . وليس من شك فى أن المازنى استطاع أن يشق طريقا مغايرا فى الحديث الى القراء ، واستطاع أن يوحى الى كتاب غير قليلين بمزايا هذا الطريق . ومن ثم كان صاحب مدرسة حقيقية .

يتجه المازنى الى القارىء صديقا . وكانت المحبة عنده مصحوبة فى أكثر الأحيان بالمناوشة . ولذلك تعلمنا على يديه مزاجا من المشاعر لا تأتلف فى يسر عند غيره من الكتاب . وكان اتجاه الكتاب نحو القراء استعلاء مشوبا بالتعليم والتوجيه . وكان أحيانا نوعا من السخرية التى هى عداء مستور . وقلما استطاع كاتب أن يخلق هذا الموقف المركب الذى نجده فى كتابات المازنى .

فالمازنى يغض من نفسه متواضعا مستخفيا ، ويرتفع بالقارىء . وقد سأله المازنى أن يتجشم الهبوط اليه حتى يتم بينهما التواصل . ولكن التواضع الجم أو الحديث الهامس إن استعملنا هذا المجاز يعتبر من بعض الوجوه ثمرة معبرة عن الاعتداد بالذات . فالتواضع والاعتداد شقيقان .

أما القارىء فقد علا على المازنى ، ثم علا المازنى عليه فى خفة وبساطة . ومن أجل ذلك قلت إن المازنى حاول أن يلعب بالمتناقضات . يوقر القارىء ويستخف به استخفافا مقبولا .

استطاع المازنى أن يقترب من القارىء وأن يبعد عنه . واستطاع أن ينقد القارىء نقدا صامتا من خلال ما نسميه تواضعا أو تجربة شخصية يسيرة أو فكرة عابرة أو شعورا لا يحتاج أول وهلة إلى الإعلان والتوضيح .